يزل العباس سيدا في الجاهلية والاسلام ينفع الجار ويبذل المال ويعطي في النوائب قال الزبير وكان يقال كان العباس من عبد المطلب ثوب الغارب بني هاشم وحفنة الجايع ومقطرة الجاهل والمقطرة حشبة ذات سلسلة يحبس فيها الناس وفي ذلك يقول ابن ابي عجيم بن عمرو بن هرمة

- وكانت لعباس ثلاث نفوسها ٭ اذا ما جنات الحي اصبح اشهبا ٭
- فسلسلة تنهى الظلوم وحفنة ٭ تناخ فيكسوها السنام المرعبا ٭
- وحلة عصب ما تزال معدة ٭ لعار ضريك ثوبه قد تهدبا ٭

وقال بن شهاب لقد جا الله بالاسلام وان حفنة العباس لتدود على فقراء بني هاشم وان قدره وسوطه لمعد لسفيههم قال فكان بن عمر يقول هذا والله الشرف يطعم الجايع ويؤدب السفيه وكان ابو بكر وعمر في ولايتهما لا يليان العباس واحدا منهما وهو راكب الا نزل عن دابته وقادها ومشى مع العباس حتى يبلغ منزله او مجلسه فيفارقه وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد مهلك جده عبد المطلب مع عمه ابي طالب وكان عبد المطلب يوصيه به فيما يزعمون وذلك ان عبد الله يا رسول الله صلى الله عليه وسلم وابا طالب اخوان لاب وام فكان ابو طالب هو الذي يلي رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد جده فكان اليه ومعه وذكروا انه ذكر ان اباطالب كان مقلا من المال وكانت له قطعة من الابل تكون بعرفة فيبدو اليها فيكون فيها ويوتى بلبنها اذا كان حاضرا بمكة فكان عيال ابي طالب اذا اكلوا جميعا وفرادى لم يشبعوا واذا اكل معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم شبعوا فكان ابو طالب انا اراد ان يعشيهم او يغديهم يقول كما انت حتى ياتي نبي ابني رسول الله صلى الله عليه وسلم فياكل معهم فيفضلون من طعامهم واذا كان لبنا شرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بنو ابي العيال العقب فيشربون منه فيروون من عند اخرهم من العقب الواحد ليشرب قعا دهه فيقول ابو طالب انك لمبارك وكان الصبيان يصبحون شعثا رمصا ويصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم دهينا كحيلا وقلت ام ايمن وكانت تحضنه ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم شكا جوعا قط ولا عطشا وكان يغدو اذا اصبح فيشرب من ماء زمزم فربما عرضنا عليه الغداء فيقول لا اريده انا اشبعان قال بن اسحاق فخرج ابو طالب فخرج في ركب تاجرا الى الشام فلما تهيا للرحيل صب به رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يزعمون فرق له ابو طالب فقال والله لاخرجن به معي ولا يفارقني ولا افارقه ابدا او كما قال فخرج به معه فلما نزل الركب بصرى من ارض الشام وبها راهب يقال له بحيرا في صومعة له وكان اليه علم اهل النصرانية

ولم يزل

ولم يزل في تلك الصومعة منذ قط راهب اليه يصير علمهم عن كتاب فيها يتوارثونه كابر عن كابر فلما نزلوا اذا ذلك العام بمحيرا وكانوا كثيرا ما يمرون به فلا يحل قريبا من قبل ذلك فلا يكلمهم ولا يعرض لهم حتى كان ذلك العام فلما نزلوا قريبا من صومعته صنع لهم طعاما كثيرا وذلك فيما يزعمون عن شيء راه وهو في صومعته يزعمون انه راى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الركب حين اقبل وغمامة تظله من بين القوم ثم اقبلوا فنزل في ظل شجرة قريبا منه نظر الى الغمامة حين اظلت الشجرة وتهصرت اغصان الشجرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استظل تحتها فلما راى ذلك بحيرا نزل من صومعته وقد امر بذلك الطعام فصنع ثم ارسل اليهم اني قد صنعت لكم طعاما يا معشر قريش واحب ان تحضروا كلكم صغيركم وكبيركم وعبدكم وحركم فقال له رجل منهم والله يا بحيرا ان لك اليوم لشانا ما كنت تصنع هذا بنا وقد كنا نمر بك كثيرا فما شانك اليوم فقال له بحيرا صدقت قد كان ما تقول ولكنكم ضيوف وقد احببت ان اكرمكم واصنع لكم طعاما فتاكلون منه كلكم فاجتمعوا اليه وتخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين القوم لحداثة سنه في رحال القوم فلما نظر بحيرا في القوم لم ير الصفة التي يعرف ويجد عنده فقال يا معشر قريش لا يتخلف احد منكم عن طعامي قالوا له يا بحيرا ما تخلف عنك احد ينبغي له ان ياتيك الا غلام وهو احدث القوم سنا فتخلف في رحالهم فقال لا تفعلوا ادعوه فليحضر هذا الطعام معكم فقال رجل من قريش واللات والعزى ان كان للؤما بنا ان يتخلف عن عبد الله بن عبد المطلب عن طعام من بيننا ثم قام اليه فاحتضنه واجلسه مع القوم فلما راه بحيرا جعل يلحظه لحظا شديدا وينظر الى شيء من جسده فلما كان يحدها عنده من صفته حتى اذا فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا قام اليه بحيرا فقال يا غلام اسالك بحق اللات والعزى الا ما اخبرتني عما اسالك عنه وانما قال له بحيرا ذلك لانه سمع قومه يحلفون بهما فزعموا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له لا تسالني باللات والعزى شيئا فوالله ما ابغضت شيا قط بغضهما فقال له بحيرا فبالله الا ما اخبرتني عما اسالك عنه قال له سلني عن ما بدا لك فجعل يساله عن اشيا من حاله من نومه وهيئته وامره وهيئته ويخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم فيوافق ذلك ما عند بحيرا من صفته وامره ثم نظر الى ظهره فراى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته التي عنده فلما فرغ اقبل على عمه ابي طالب فقال ما هذا الغلام منك قال ابني قال ما هو بابنك وما ينبغي لهذا الغلام ان يكون ابوه حيا قال فانه ابن اخي قال فما فعل ابوه قال مات